مجلة الرائد

العدد : ٢٢٤ الموافق في رمضان ١٤٢١ هجري ١٢ / ٢٠٠٠ ميلادي

عنوان المقال : القضية الفلسطينية : لمحات تاريخية	بقلم : أ. متولي موسى

تعتبر قضية فلسطين من القضايا الكاشفة ، والتي إذا قام أي إنسان بدراسة عميقة لها ، انكشفت له حقيقة الصراع بين الحق والباطل ، وتعرت جوانب رئيسية من واقع العالم العربي والإسلامي ، والعالمي ، وسوف أركز في هذه الصفحات على عدد من النقاط الأساسية ذات المغزى لأخذ العبرة والعظة .

① تحديد الهدف والوسيلة واتخاذ الأسباب

● قام تيودور هرتزل ببلورة حُلم قديم لليهود تحت شعار الحركة " الصهيونية " ، وجمع مندوبين عنهم للتخطيط وتحديد آليات الوصول بهذا الحلم إلى الواقع ، وكان المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧م في بازل ، وتعاقبت بعده المؤتمرات .. ومات هرتزل عام ١٩٠٤م ولكنه ترك وراءه كتابه " دولة اليهود " وحزبه أو حركته " الصهيونية العالمية " وخليفته " حاييم وايزمان " ، ومن الجدير بالإشارة إليه أن نسبة اليهود التي آمنت بمباديء هرتزل عند انعقاد المؤتمر الأول كانت لا تزيد عن ١% من عدد اليهود .

ثم أخذت " الحركة الصهيونية " تتقدم ببطء شديد لقلة إيمان اليهود ببرنامجها ، وخوفهم من المستقبل المجهول ونوع الحياة التي تخيلها زعماء الحركة في فلسطين .

● التقت مصالح " الحركة الصهيونية " مع انجلترا التي أحست في بداية العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي بأن وضع اليهود في كفة ميزانها سيرجح كفتها ، ومن ناحية أخرى قبل اليهود التعامل مع انجلترا ، ثقة منهم بأن النزاع حول فلسطين إذا انتقل في المستقبل وكان مع انجلترا بدلاً من العرب والأتراك ؛ فإنه سيكون نزاعاً هيناً سهلاً ، لا يدخل فيه الحرص على المقدسات بقدر الحرص على المصالح ، وفلسطين أولاً وآخراً ليست وطناً للإنجليز ، وليس لهم فيها حرم ولا قبلة ، فضلاً عن عدم وجود حدود مشتركة معها .

● بعد اقتناع كل من اليهود والإنجليز ، بدأت المساومات حول جوهر القضية ، وليس لأي من اليهود والانجليز وجود في فلسطين : الإنجليز لهم وجود في مصر والسودان ، وأساطيلهم في البحر الأبيض المتوسط ، واليهود مشتتون في عدد من بلاد العالم ، ولكن أموالهم تتحكم في كثير من مقدرات الدول ووسائل الإعلام ، وهكذا مهد اليهود الطريق لتجميع كلمتهم على تأييد انجلترا من منطق "

المصالح المشتركة " .

قام " يوسف ترو مبلدور " - وهو أحد المتحمسين للصهيونية - بالالتقاء مع زعيم الإرهابيين الصهيونيين " زئيف جابوتنسكي " ، واتفقا على إنشاء جيش يهودي " صهيوني " لمحاربة العرب والأتراك تحت الراية البريطانية ، وكان هذا اللقاء في صيف ١٩١٦م ، وبالفعل تلقت كتيبة يهودية التدريب في الاسكندرية وخرجت ضمن الفرقة " ٣٨ " بالتحرك تجاه فلسطين مع الجيش البريطاني الزاحف إليها بقيادة القائد " اللنبي " .

● وفي أرض سيناء ، وعند اقتراب الكتيبة اليهودية مع الجيش الإنجليزي من حدود فلسطين ، أصدر جابوتنسكي التصريح الآتي والذي أتمنى أن يدرك كل مسلم مغزاه ، حيث يقول :

« اسمع يا إسرائيل - بهذه الجملة تبدأ الصلاة عند اليهود ، واستعملها هذا الثعلب للتأثير النفسي - أنصت لصوت قلبك ، إن ساعة الاستيلاء على فلسطين قد حانت ، وليس من المعقول أن نترك الناس من الأمم الأخرى يستولون عليها . استمع لصوت عقلك ، ليس من المنطقي أن يحارب الإنجليز هنا أمام أعيننا ، ونحن قاعدون في بيوتنا إلى أن يعيدوا إلينا هذه البلاد وقد أخذوها بدمائهم . أنصت إلى ما يقوله لك شعورك بالكرامة ، هل من الممكن أن نقبل هدية كهذه ممن استولوا على تلك الأرض بمهجهم دون أن نبذل أرواحنا معهم جنباً إلى جنب ؟

إن دماء آباءنا التي سالت على هذه الأرض منذ آلاف السنين ، ودم الانجليز الذين يساعدوننا اليوم في الاستيلاء عليها لَدَمٌ مقدّس ، وهو يهيب بنا من ثرى هذه الأرض أن هُبُّوا للقتال ، فلنخرج إلى ميدان المعركة نحن ومحررونا معاً ، ومن الله النجاة فاشتدوا وتشجعوا » .

● وفي تلك الفترة كانت المباحثات بين وزير خارجية بريطانيا " بلفور " والثري اليهودي " روتشلد " ومن ورائه " حاييم وايزمان " والحاخام الأكبر " هيرتس " ، لاتخاذ خطوات عملية بشأن تهويد فلسطين ، ولقد أثمرت هذه المباحثات بأن صدر تصريح بلفور في ٢ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩١٧م يَعِدُ فيه اليهود بوطن قومي في فلسطين عند انتهاء الحرب العالمية الأولى .

وفي شهر فبراير/شباط ١٩١٨م وصلت أول مجموعة من الكتيبة اليهودية إلى أرض فلسطين تحت قيادة " باترسون " ، وما أن تخطت أقدامهم الحدود حتى رفعوا الراية الصهيونية ذات النجمة السداسية وقد كتبوا عليها : " إن نسيتك يا أوشليم فلتتركني يميني " .

● لم تكن معاهدة فرساي التي أنهت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م قد توصلت إلى تكييف

شكل الحكم في فلسطين ، ولا مصير الناس فيها ، ولكن كان الإنجليز أصحاب النفوذ المطلق ، وبالتبعية كان الأمر متروكاً لليهود ؛ ثم أعلنت الدول المتحالفة في مؤتمر " سان ريمو " اختراع لفظ اصطلاحي يتستر وراءه الاحتلال والاستعمار وهو " الانتداب " ، وتقرر في هذا المؤتمر وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني وذلك في أبريل/نيسان ١٩٢٠م ، ومن ثم وافقت " عصبة الأمم " على قرار " سان ريمو " بعد ذلك بثلاثة أعوام .

وفي هذه الفترة وجد التعاون بين اليهود والإنجليز في التمكين لليهود بعد تعيين بريطاني يهودي حاكماً لفلسطين ، وكان من نتائج هذا التعاون ما يأتي :

- فتح باب الهجرة اليهودية لفلسطين .
- تسليح اليهود وتكوين جماعات وعصابات مسلحة .
- التنكيل بالفلسطينيين وقمع مقاومتهم على مدى سنوات : ١٩٢٠م ، ١٩٢١م ، ١٩٢٣م ، و١٩٢٩م .

- وكانت انتفاضة الشعب الفلسطيني عام ١٩٣٦م عظيمة وكادت أن تحقق نجاحاً كبيراً لولا تدخل الحكام العرب ، وقيام انجلترا بإصدار الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩م والذي وعدت فيه بإيقاف الهجرة ومنع دخول اليهود للقدس ومناطق أخرى من فلسطين .

كما حاول اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين وبدعم من يهود العالم ترويج اسطورة " حائط المبكى " وإطلاقها على حائط البراق ، لإقناع العالم بأن لليهود تاريخاً في القدس الشريف ، فتشكلت لجنة دولية من قبل مجلس عصبة الأمم في ٥ مايو/أيار ١٩٣٠م مؤلفة من ثلاثة أعضاء أوروبيين ، فنظرت هذه اللجنة في جميع الوثائق التي قدمت لها من قبل العرب ، ومن قبل اليهود وحكومة الانتداب البريطاني ، ثم أصدرت حكمها الذي ترجمته الآتي : « إننا نوجز فيما يأتي الاستنتاجات التي توصلنا إليها ، بالاستناد إلى الاستدلالات والشهادات التي قدمت : للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي - هكذا أطلقوا على حائط البراق - ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف ، التي هي أملاك الوقف ، وللمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط ، وكذلك المحلة المعروفة " بحارة المغاربة " المقابلة للحائط ، لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي لجهات البر والخير ».

② إعلان " الدولة " والصراع العسكري والسياسي

▫ في عام ١٩٤٧م خرج الإنجليز من فلسطين وأعلن " بن جوريون " قيام " دولة الكيان الصهيوني " في ١٥ مايو/أيار . وفي ١٩٤٧/١١/٢٩م صدر قرار التقسيم الذي أعطى لليهود نصف الأرض التي يمتلكها العرب حيث أن اليهود لم يكونوا يمتلكون إلا ٦,٥% من أرض فلسطين ، وبالتالي أصبح بموجب قرار التقسيم لليهود حوالي ٥٤% من أرض فلسطين .

▫ رفض العرب قرار التقسيم وحدثت مهزلة دخول الجيوش العربية الحرب ، والتي انتهت بهدنة عام ١٩٤٨م فأصبحت الأرض التي تحت سيطرة اليهود أكثر من ٦٧% من أرض فلسطين .

▫ في حرب الأيام الستة من يونيو/حزيران ١٩٦٧م احتل اليهود بدعم غربي بقية فلسطين (الضفة وقطاع غزة) ، وسيناء والجولان السورية .

▫ استطاع الكيان الصهيوني بدعم سياسي غربي أن يُدْخل الأمم المتحدة ومعها العرب في متاهة مشروعات تقسيم فلسطين ، والعرب في كل مرة يرفضون التقسيم الجديد ويطالبون بالعودة إلى ما قبله . ففي عام ١٩٤٧م كانوا يتمسكون بالكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩م ، وبعد حرب ١٩٤٨م وأمام مشروع تقسيم جديد ، أصرّ العرب على تطبيق قرار التقسيم ١٩٤٧م ، وفي أعقاب العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م ألحّوا على ضرورة العودة إلى خطوط عام ١٩٤٨م ، وقبيل الزحف العسكري الصهيوني عام ١٩٦٧م كانوا ينادون بالالتزام الدقيق لحدود هدنة ١٩٥٦م ، وبعد حرب الأيام الستة في عام ١٩٦٧م طالب العرب بالعودة إلى حدود ١٩٦٧/٦/٥م ، بل لقد أصبح ما يشغل العرب هو ترسيم الحدود مع هذا الكيان الذي اعترفوا بوجوده حتى أصبح شعارهم وخيارهم هو " السلام مع الكيان الصهيوني على أساس الأرض مقابل السلام " .

▫ في ١٩٩١/١٠/٣٠م ظهر انهيار الأنظمة العربية التي ذهبت إلى مدريد معترفة بالكيان الصهيوني ، وتكليف منظمة التحرير الفلسطينية بالمسؤولية عن قضية فلسطين ، وذلك كله لإيقاف انتفاضة الأرض المحتلة التي كانت قد بدأت في ١٩٨٧م ، واستمرت زهاء خمس سنوات فأحجرت الأنظمة العربية التي جمعتها أمريكا لتخوض حرباً من أجل مصالحها باسم تحرير الكويت .

▫ في عام ١٩٩٣م تم إعلان مبادىء اتفاق اوسلو ، والذي هو فخ حقيقي استدرج إليه الفلسطينيون ، وأخرجت القضية بمقتضاه من نطاق الأمم المتحدة ، وأصبح المتحكم الأول في مصير الأرض بل والشعب الفلسطيني هو الكيان الصهيوني وبدعم من أمريكا .

ونظراً لأن المشكلات الحقيقية تم الاتفاق على تأجيلها ، وبدأ التباحث في رد أجزاء قليلة جداً من

الأرض التي احتلت عام ١٩٦٧م إلى السلطة الوطنية الفلسطينية التي تقوم بحكم ذاتي تحت السيادة اليهودية ، وعلى الرغم من انتهاء المدة المتفق عليها وهي خمس سنوات وزيادة سنتين عليها لم يُعد اليهود إلا حوالي ٨% (ثمانية بالمائة) من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م .

▫ عند مناقشة قضايا " الحل النهائي " أعلن اليهود - كما كانوا يعلنون دائماً - أنهم لن يتنازلوا عن القدس وبخاصة المسجد الأقصى ، ويعتبرون القدس الموحدة عاصمة لدولتهم ، ولن يقبلوا بعودة اللاجئين الفلسطينيين : حوالي ٣,٥ مليون . وبالتالي انهارت المباحثات ، وتأكد الوفد الفلسطيني أن الطوق قد أحكم عليه ولم يعد أمامه إلا العودة إلى غزة .

▫ وفي يوم الخميس ٢٠٠٠/٩/٢٨م كان موعد السفاح (آريل شارون) صاحب مجزرة قبية ومذابح صابرا وشاتيلا للمسجد الأقصى ، وكان في حراسته عدد من أفراد حزبه " الليكود " وحوالي ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف) جندي ، وهو يريد أن يقول بذلك للمسلمين : لن ننسحب من المسجد الأقصى ؛ فتصدى له أبناء فلسطين ، واندلعت بعدها انتفاضة الأقصى المباركة .

③ حقيقة الكيان الصهيوني وسخرية قادته من العرب

✧ إن " الكيان الصهيوني " لا يمثل صورة بشعة من صور الاستعمار الاستيطاني فحسب ، إنما هو كيان قائم على التوسع العسكري باحتلال الأرض وإرهاب أهلها بصورة لم يعرف التاريخ مثلها ، إلا عندما قام الصرب بالسير على نهج الصهاينة في نهاية القرن العشرين الميلادي ، فلقد قام الصهاينة بمذابح هي في حقيقتها محاولات لإبادة شعب وإخراجه من أرضه ، ويكفي هنا أن نذكر بمذابح " دير ياسين " و " قبية " و " خان يونس " و " كفر قاسم " و " صبرا وشاتيلا " و " الخليل " و " الأقصى " ...

والغريب أن بعض الصحف الفرنسية تطالعنا في هذه الأيام بمقولة تنسب إلى " جولدا مائير " والتي تقول : قد نغفر للعرب أنهم قتلوا أبناءنا ؛ ولكننا لن نغفر لهم أن يجبروننا على قتل أبنائهم !!! .

نعم ، هؤلاء القتلة الذين قتلوا الأنبياء ، ويقتلون النساء والأطفال ، أرحم بأبنائنا من آبائهم وأمهاتهم !! والذي لا يفهمه العاقل كيف تروج وسائل الإعلام الغربية مقولة استخدام الأطفال للعنف حيث أنهم يضربون الجنود الصهاينة بالحجارة !! .

وتعجب أيها القارىء الكريم حين ترى الصهاينة يسخرون من القادة والساسة العرب بمناسبة وبغير مناسبة ، وسأكتفي هنا بالتذكير بقول " لموشيه ديان " في أعقاب حرب ١٩٦٧م وهو : « إن اسرائيل

كانت منذ قيامها تشعر بضرورة اعتراف العرب بها ، أما الآن فإن العرب هم الذين يحتاجون إلى أن تعترف بهم اسرائيل » . وهو كلام خطير له مغزى أبعد من مجرد النكتة والسخرية ، فعدم الاعتراف بجهة في عالم السياسة معناه الإهدار الكامل ، والاستباحة التي لا تقف عند مواثيق ولا تخشى قانوناً ، وهذا هو موقف " الكيان الصهيوني " ، فما أكثر من أن يصرح قادته بأن ما وقع مع مصر هو اتفاق لوقف إطلاق النار ... إلخ .

بل إن " موشيه ديان " نفسه هو الذي صرح أكثر من مرة عند مطالبة العرب بعودة الصهاينة إلى ما قبل حرب ١٩٦٧م ، فقال : « إن الفكر السياسي والعسكري العربي متخلف عن الواقع بمقدار حرب بين العرب واليهود ، وأنه في كل مرة نجد العرب يطالبون اليهود بالعودة إلى الحدود التي كانت قبل آخر صراع ، ثم يضيف إلى ذلك ضاحكاً : إنه على هذا المقياس ليس من مصلحة اليهود أن تتوقف حروبهم مع العرب ، فربما تكون الجولة القادمة سبباً في رضاهم بما يرفضونه الآن » .

وهذا الكلام أيضاً خطير على ما فيه من عنجهية وعجرفة ، إذ أنه يجعل من التوسع العسكري الصهيوني في الأرض العربية سياسة ضرورية ، تعود على " الكيان الصهيوني " بمكاسب .

وهذا كله إن دلّ على شيء إنما يدل على أن الكيان الصهيوني أصبح مطمئناً تماماً إلى أن الحكام العرب قد نسوا تماماً كيفية استعادة الحقوق المغتصبة ، وأنهم نسوا التحرير الكامل للوطن السليب .

ولقد أعادت انتفاضة الأقصى الأمل للشعوب العربية ، وظهر أن الشعوب قد تجاوزت حكوماتها ، فلماذا لا تعطى الحرية للشعوب حتى تقوم بدورها واستعادة حقوقها ؟! .